مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية
٢٤١٠٥٠٦ - ٢٤١٦٠٤٧

المختار من كتاب:

المرجع

معالم المشروع والممنوع
من ممارسات التصوف المعاصر

للمغفور له العالم العابد العارف الداعية المرحوم
السيد ابراهيم الخليل بن علي الساداتي
رضي الله عنه

قدم للكتاب وعلق عليه نجل المؤلف السيد
محمد زكي ابراهيم
رائد العشيرة المحمدية وإمام الساذلية المرسيين

الطبعة الخامسة
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

مؤسسة إحياء التراث الصوفي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة

الحمدلله الذي تقدس بالجلال، وتعزز بالجمال، وتوحد بالكمال. سبحانه من عزيز لا يعده عد، ولا يحده حد، ولا يدركه وهم، ولا يصوره تصور. واحد لا من قلة، وموجود لا من علة. ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد، صلاة وسلامًا سعة الأزل والأبد، وزينة الغيب والشهادة، وقداسة العرش والسدرة، وإحاطة العلم والقدرة، وكمال الغيب والحضرة، وخلود الذات والصفات. عدد المعلوم والمجهول، والمنظور والمسطور، والشفع والوتر، والسابق واللاحق، وما كان وما يكون إلى يوم الدين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا. أما بعد:

فهذه طبعة جديدة من رسالة المرجع للإمام إبراهيم الخليل بن علي الشاذلي، تبين في كلمات موجزة مركزة كالقانون، معالم المشروع والممنوع من ممارسات الصوفية؛ ليحق بها الحق، ويبطل بها الباطل، ويظهر لمدعي التصوف والتسلف على السواء أن أهل الصوفية الحقيقيين هم رجال السلف، وأن أهل السلفية الحقيقيين هم رجال التصوف.

وأننا حينما ننقي التصوف مما شابه من الاستغلاق والانحراف والدس، وحينما ننقي التسلف مما لحقه من التعالم والاندفاع والمجازفة - يتضح لنا أن الحق واحد هنا وهناك.

وحينئذ لا يبقىٰ إلا أن تجتمع الأمة علىٰ قلب رجل واحد لمواجهة التحديات التي تتربص بها، خاصة في هذه الآونة التي تحيق المخاطر من كل نوع، والفواجع من كل جنس، بأمة الإسلام في كل مكان. حتىٰ لا تكاد تجد أرضًا تنتهب، وديارًا تدمر، ودماءً تهرق، وأعراضًا تنتهك، وأطفالًا تشرد، إلا وكانت للمسلمين.

و لا يزال أعداء الأمة يفتنونها بشعارات مزيفة، يصدرونها بين الحين والآخر، كالإصلاح الذي ما أن وضع علىٰ جدول أعمال الأمة في هذه الآونة، حتىٰ افتُتِنَ به الناس وتباروا في الخوض فيه علىٰ الأنموذج الذي يخدم (**أجندة**) أعداء الأمة. وذلك دون أن نعير اهتماما لتشخيص الداء والدواء كما شخصه طب القلوب ودواؤها ﷺ حينما نادىٰ:

«ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب».

هنا يكمن الإصلاح، وهذا هو التصوف، دعوة العشيرة المحمدية، ورسالة الوعي الإسلامي الناهض بالدعوة الروحية لإصلاح القلوب التي هي مكمن الداء ومحل الدواء. فالقلب كما يقول الإمام الرائد رضي الله عنه وأرضاه هو: «... مستقر الإيمان ﴿**حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ**﴾، وهو محل الألفة والحب ﴿**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ**﴾، وهو محل الطمأنينة ﴿**أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ**﴾، وهو محل التمحيص ﴿**لِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ**﴾، وهو محل السلامة ﴿**إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾، وهو محل الذكرىٰ ﴿**إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ**﴾، وهو محل التقوىٰ ﴿**وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ**﴾، وهو محل السكينة ﴿**أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾، وهو محل الرأفة والرحمة ﴿**وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً**﴾، وهو محل الربط الإلهي

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ، وهو محل الوجل ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ، وهو محل الخشوع ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ ، وهو محل الفقه ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ . . . فهو هنا مشرق الأنوار ومهبط الأسرار .

وفي المقابل نجد القلب محل الغل ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ، وهو محل الزيغ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ ، وهو محل المرض ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ ، وهو محل الغيظ ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ ، وهو محل الريبة ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ، وهو محل الرين ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ، وهو محل الامتحان ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ ، وهو محل الرعب ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ﴾ ، وهو محل العمىٰ ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ ، وهو محل الانغلاق ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ ، وهو محل الفظاظة ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾»اهـ .

ألا من مستجيب . . . ؟!

أمانة الدعوة

هـذه الرسالة

هذه الرسالة هي رسالة «**المرجع**» التي كتبها شيخ شيخنا العالم العارف الزاهد المجاهد المجدد السيد «**إبراهيم الخليل بن علي الشاذلي**» لتكون دليل مريديه وتلاميذه في طريق الحق والنور .

وهذه هي المرة الخامسة التي تطبع فيها هذه الرسالة التي تعودنا أن تنفد دائما بمجرد عرضها في الأسواق ، فهي طراز متميز يجمع بين الاختصار ، وقوة الدليل من صريح الكتاب ، وصحيح السنة بإسنادها العلمي الحاسم ، ولهذا كانت في طبعاتها السابقة مثار انزعاج بين أدعياء التصوف ، بمقدار ما كانت مثار الدهشة عند أعدائه ، نسأل الله أن ينفع بها كل من وصلت إليه . . .

مجمل ترجمة المؤلف

تلخيصا من كتاب «البيت المحمدي»

هو : مولانا القطب العالم العارف المجاهد المجدد سيدنا الشيخ (**إبراهيم الخليل بن علي**) الشاذلي ، وهو صهر ووارث قدم سيدي أبي عليان الشاذلي ، وزوج صغرى كريماته ، التي بلغت درجة الولاية الكبرى مع صحة الكشف واستجابة الدعوة وهي (**الزهراء فاطمة النبوية**) رضي الله عنها وعن آل البيت جميعًا .

وهو والد الإمام السيد «**محمد زكي الدين بن إبراهيم**» الخليل رائد العشيرة المحمدية ومؤسسها -عليه رضوان الله- يتصل نسبه بالإمام الحسين من الأب ، وهو من الأم صديقي بكري ، ويتصل نسبه من جداته لأبيه وأمه بالسادات المسلمية والأسرة الهاشمية والأباظية بالشرقية .

ولد في يوم عاشوراء عام (١٢٩٩هـ) وتوفي في أوائل جمادى الأولى عام (١٣٦٥هـ) عن نحو (٦٦) عاما وكان من رجال الأزهر ، وكبار الشاذلية الشرعيين ، ولكنه لم يحترف العلم ولا التصوف ، بل كان يتاجر في الحبوب والأخشاب ، وينفق على الدعوة في تواضع تام وزهد مطلق ، وكفاح دائم للبدع والمنكرات الصوفية وغير الصوفية ، وقد رفض أن يجدد الخديوى بيته المتواضع ببولاق مصر ، وكان البيت يقع في المثلث الغربي من مستشفى أمراض النساء بشارع (٢٦يوليو) وقد ظل يجاهد ويكافح حتى ورث الغوثية الكبرى ، ثم انقطع نهائيا إلى الله بعد أن شارك «مصطفى كامل ، ومحمد فريد» في خدمة الدين والوطن ، ومات عن نيف وستين عاما ، ودفن بضريح المشايخ بقايتباى ، وعند قبره يستجاب الدعاء ويفيض المدد ويكرم الله الزائرين . وكان أيضا مجدد عصره في التصوف .

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الرائد

تقديم لكتاب المرجع

حمدًا لله ، وصلاة وسلامًا على مصطفاه ، ومن والاه ، في مبدأ الأمر ومنتهاه .

وبعد ، فنقدم لأخوتنا في الله من السادات الصوفية على اختلاف مشاربهم ، هذه الرسالة ، الصغيرة الحجم ، الكبيرة النفع إن شاء الله . فهي موسوعة صوفية مركزة مختصرة ، شرعية عالية غالية .

فقد عمدنا إلى بقية ما عندنا من كتاب «**المرجع**» لمولانا الإمام المغفور له العارف بالله (**السيد إبراهيم الخليل بن علي الشاذلي**) فاخترنا منه أهم الفصول التي ترضي الصوفية ، وتردي المتمصوفة والتي تقدم الأدلة القطعية ، في أخصر عبارة وأقل تعبير ، فهي سلاح ومصباح ، لكل طالب للحقيقة ، مكافح لأعداء التصوف وأدعيائه ، على حد سواء ، وكتاب «**المرجع**» هذا يضمُّ ثلاث رسائل :

الأولى : رسالة «**الإقناع**» الجامعة لأدلة الأعمال الصوفية الشرعية .

والثانية : رسالة «**القانون**» وهو توجيه وترتيب لأصحاب الوظائف الصوفية ومسئولياتها ، ومنهج للنظام التعبدي ، ولو أنه إلى الطريقة الشاذلية أميل في بعض فصوله ، إلا أنه في جميع الفصول مفيد إفادة لا حد لها ، لجميع رجال الطرق على حد سواء[1] .

---

(١) وقد نقلنا نصوص هذا القانون بحرفيتها في كتاب «البيت المحمدي» لأنه إلى الخصوصية أقرب ، والمرجع كتاب عام ، ولمن شاء أن يرجع إلى هذا القانون في كتاب البيت المحمدي خصوصا السادة الشاذلية الملتزمين .

والثالثة : رسالة «**خلاصة التحقيق**» وفيها الرد على أدعياء الطريق ، ومن كانوا سببًا في هبوطه إلى مستوى السخرية والزراية ، ولا يعرف فيما كتب في هذا الباب الآن ما هو خير منها جمعا واختصارًا ، وإفادة وإقناعا .

وقد اكتفينا في هذه المختارات برسالتي الإقناع وخلاصة التحقيق لجمعهما للمطلوب ، والله الموفق المستعان .

محمد زكي إبراهيم

للتاريخ والذكرى

كانت العشيرة المحمدية أول تنظيم ديني رسمي، يتخصص في خدمة التصوف الإسلامي في رجاء تحريره وتطهيره وتطويره وكشف كنوزه وأسراره وتراثه، وخدمة الإسلام بطاقاته ورجاله، وعرضه كحل عملي للمشكلة المادية بكل أوزارها وأوضارها، على العقيدة والخلق ومعالم الإنسانية الشريفة، والحقائق النفسية الشخصية والجماعية، وإتخاذه وسيلة لتحقيق الأمل الإسلامي في النهضة والوحدة والتقارب والتعاطف والتعاون على الأمل الكبير في الحكم بالشريعة، واستعادة المجد السليب.

وكانت العشيرة أول من فكر في تأسيس «**الجامعة الصوفية العالمية، والمؤتمر الصوفي العالمي، ودائرة المعارف الصوفية، والمجمع الصوفي العلمي، ومعهد الدراسات الصوفية**» واتخذت الكثير من أسباب تحقيق هذه الأفكار مع أسباب مكافحة ما دسوه على التصوف من أُلعبانيات وكهنوتيات ومهازل، ومع مكافحة أعداء التصوف والحاملين عليه بغير حق ولا تفصيل ولا عقلانية.

وظلت العشيرة ولا زالت تجاهد في هاتين الجبهتين جهادًا استغرق الآن نحو نصف قرن، نجحت فيه نجاحًا كبيرًا في تغيير المفاهيم، وتطوير الأفكار، وتجديد النشاط وتحديد الرؤية في الجبهتين، مما أفاد التصوف إفادة غير مسبوقة بنظير، وجعل منه شرفا يعتز الناس بالنسبة إليه، بعد أن كان الصوفي يستخفي ويتستر، كأنه من تجار المخدرات أو حملة الشبه والتهم والمناقص.

وقد أصبحت عباراتنا، واصطلاحاتنا، وأدلتنا وبراهيننا في المجال الصوفي بمختلف جوانبه، تجري على ألسنة الجميع بلا استثناء، ويتحراها الجميع لعدم وجود بديل عنها، وإن كان يغفل نسبتها إلى أصحابها، سواء في ذلك المثقف وغيره ولكن حسبنا أننا نؤصل ونسجل ونمنح الناس.

وكان من ثمن ذلك ما لاقينا ونلاقي من جهد البلاء ، في أنفسنا وأرزاقنا ، ووظائفنا وسمعتنا .

وللتاريخ أكرر أنه مما يشرفني ويخلد ذكري –إن شاء الله– أني كنت أول رجل تجتمع من أجله الجمعية العامة للطرق الصوفية الرسمية يومًا ، وتقرر فصلي بالإجماع!! لأفكاري التقدمية ، ولمخالفتي للعرف والمصطلح ، ومهاجمتي للبدع والمنكرات ، ثم لتخصصي في الرد على خصوم التصوف ومدمريه!!

وكان مما يشرفني ويخلد ذكري ، أن يصدر مجلس الدولة في شأني أول حكم من نوعه في التاريخ يرد إلي اعتباري ، ويذكرني بما أخجل أن أذكر به نفسي من الأوصاف .

ولم يكن جهادي هذا إلا امتدادا لجهاد أبي وجدي في طريق خدمة التصوف المستنير وتجديد شبابه ، وتحريره وتطويره ، وتطهيره ، والارتفاع بمستواه ، وقد بلغنا من ذلك مبلغا كبيرًا جدًّا بحمد الله .

أولا : المختار من

«رسالة الإقناع والتبيين»

في أدلة أهم أقوال وأعمال الصوفية الراشدين

إحدى رسائل كتاب المرجع

لمولانا المغفور له العالم العارف المجاهد

السيد إبراهيم الخليل بن علي الشاذلي- رضي الله عنه -

الحث على الذكر

عاب الله على المنافقين غفلتهم فقال: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1] وحث المؤمنين على مخالفتهم، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[2] ولم يحدد للذكر وقتا ولا هيئة ولا صفة ولا أسلوبا، مما يدل على لزوم عدم الغفلة في كل وقت وحال وهيئة، بكل ما لم يخرج عن المجال الشرعي نصا أو اجتهادًا.

وبين الله فضل الذكر، فقال: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[3] ثم بين قيمة الذكر عنده تعالى فقال: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[4] وبين أنه أتم أسباب الفلاح، فقال: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[5] وحذر الله من الغفلة عن ذكره فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[6] ثم توعد المقصرين فقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾[7][8].

فالذكر إذن من أسباب توسعة الأرزاق، وإصلاح الاقتصاد الذي هو ميزان كرامة الدولة.

---

(١) سورة النساء: آية (١٤٢).
(٢) سورة الأحزاب: آية (٤١).
(٣) سورة الأحزاب: آية (٣٥).
(٤) سورة البقرة: آية (١٥٢).
(٥) سورة الأنفال: آية (٤٥).
(٦) سورة المنافقون: آية (٩).
(٧) سورة طه: آية (١٢٤).
(٨) حذر الله رسوله ﷺ فقال: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ وقال: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾.

ولذلك كان من وصية النبي ﷺ لسيدنا معاذ : أن يقول دبر كل صلاة : (**اللهم أعني على ذكرك وشكرك**) ، كما في رواية أبي داود بإسناد صحيح ، وفي رواية البخاري قال النبي ﷺ : «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت**» . فهؤلاء الذين يمنعون ذكر الله أموات بشهادة المصطفى ﷺ .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «**يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه ما ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملإ خير منهم**» متفق عليه . وهو صريح في الذكر بالمعنى المتقدم .

وروى الترمذي عن عبدالله بن بسر أن **رجلا قال : يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي ، فأخبرني بشيء أتشبث به ، فقال** ﷺ : «**لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله**» ومعنى هذا أن الذكر المعهود خير العبادات سواء كانت بدنية أو فكرية .

ويدل له حديث الترمذي أيضا عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله ﷺ : «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربون أعناقكم؟ قالوا : بلى ، قال : ذكر الله**» والآيات والأحاديث في هذا الباب جمة ، يرجع إليها في المطولات .

ومن أوجه تفضيل الذكر على الجهاد بالسيف : أن الجهاد مرتبط بوقت ونظام ولكن الذكر مطلق ، وقد يدخل على المجاهد الرياء وحب الدنيا بخلاف الذاكر لله سواء كان ذكره رغبة أو رهبة ، أو ابتغاء وجه الله الكريم .

وحسبنا أن الذكر الشرعي من فعل السادة الأكابر ، كابرًا عن كابر ،

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [1][2] وهذا أمر بملازمتهم والاجتماع حولهم.

فضل الاجتماع للذكر:

قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾[3] – **أي يذكرون**– وبه كان الفتح والوصول، ولا يطعن فيه إلا كل مطرود، غافل مسلوب منهم إدلالا على ما هم عليه من الخير والكرامة، وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[4] وفي الحديث الثابت يقول ﷺ: «**الحمد لله الذي جعل في أمتي من أصبر نفسي معهم**»، وليس أبلغ في باب التقوى من الذكر، فوجب التعاون عليه والاجتماع له.

وقد فضل الله صلاة الجماعة على صلاة الفرد بسبعة وعشرين ضعفا، كما جاءت به الأحاديث الصحيحة، للدلالة على أن في الاجتماع على العبادة فضلًا وتعاونًا، لا يتركه إلا الغافلون.

وقد قال النبي ﷺ: «**يد الله مع الجماعة**» فهو ترغيب مطلق في الحث على الاجتماع للخيرات، ومن هذا فضل الله صلاة الجمعة على غيرها لما فيها من الاجتماع والتعاون[5].

وفي الحديث المتفق عليه، يقول الله تعالى عن عبده: «**إذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ – أي جماعة– خير منهم**» وهو أيضا حث ظاهر على الذكر في جماعة، ليحوز الإنسان شرف الذكر في الملأ الأعلى.

---

(١) سورة الأنعام: آية (٥٢).

(٢) هم أهل الصفة.

(٣) سورة الكهف: آية (٢٨).

(٤) سورة المائدة: آية (٢).

(٥) ومعنا صلاة العيدين، ومعنا اجتماع الحج الأكبر.

وفي الحديث من رواية مسلم عن أبي سعيد : «**لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده**» . وفي حديث معاوية من رواية مسلم أيضا أن النبي ﷺ أخبرهم أن الله يباهي الملائكة بالمجتمعين لذكره ، وفي البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم أن رسول الله ﷺ رأى حلق الذكر وجلس فيها وأقرها ، وحث عليها ، وقد فصل ابن عباس ذلك في تفسيره لآيات الذكر كل تفصيل «**فراجعه وراجع رسالة الشيخ مخلوف الكبير**» .

الذكر بالصوت :

قال تعالى : ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ﴾ ، وهذه الآية قانون صريح في كيفية الذكر ، وفيها إشارة إلى وروده بالمعنى السابق .

وفيها قسم الله كيفية الذكر قسمين :

الذكر في النفس : وهو بالقلب وحده .

وذكر دون الجهر : وهو بالقلب واللسان .

نقول والله أعلم : إن في وضع الآية ترتيبا تدريجيا ، يفيد أن ذكر القلب وحده أقل من ذكر القلب مع اللسان ، إذ النطق بالذكر أفضل للمبتدئ حتى يتعود إشراك قلبه مع لسانه ، وأفضل للمنتهي لإدراك فضل الذكر بهذا وذاك معًا .

قال تعالى : ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[1] والدعاء نداء ، والنداء لا يكون إلا بالصوت ، ويعضده آيات وأحاديث كثيرة ، منها : حديث عبد الله بن بسر في رواية الترمذي ، أن النبي ﷺ

(١) سورة الإسراء : آية (١١٠) .

قال للسائل عن أفضل ما يتمسك به من الشرائع : «**لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله**» . والذكر باللسان يقتضي إظهار الصوت والإعلان به وأقله أن يسمع نفسه ومن يليه .

أما حديث البيهقي : قال ابن الأروع : «رجع النبي ﷺ ليلة فمر في المسجد على رجل يرفع صوته بالذكر ، فقلت : يا رسول الله عسى أن يكون هذا مرائيا ، قال : **لا ولكنه أواه**» .

وحديث ابن مردويه : «أن رجلا كان يرفع صوته بذكر الله ، فقال رجل : لو أن هذا خفض من صوته؟ فقال ﷺ : **دعه فإنه أواه**» .

ومنه يظهر خطأ من قالوا : إن الفكر خير من الذكر ، أو أن الذكر القلبي خير من الجهري ، إذ النطق بالمراد يكون مع الحاضر ، أما الفكر فيكون في الغائب ، والله تعالى حاضر لا يغيب فوجبت مناجاته ومناداته ، وقد حقق الإمام الفخر الرازي في كتابه «لوامع البينات» أن الذكر خير من الفكر بالحجة المنطقية ، والنقول الصحيحة .

ونحن والحمد لله نجمع في مجالسنا بين هذا وهذا ، فهي بذلك إن شاء الله من خير مجالس الذكر بلا دفاع ، وقد سمى النبي ﷺ الرافع صوته في الذكر (أواها) ، أي على قدم إبراهيم عليه السلام ، كما أخرجه البيهقي عن زيد بن أسلم وما أخرجه ابن مردويه عن جابر رضي الله عنه .

مشروعية الذكر قائما :

الصلاة عندنا معشر المتصوفين مثل العبادة الأعلى ، ولا يخفى أن أكمل حالاتها القيام ، ولا ينبغي القعود فيها إلا لعذر مشروع ؛ لأن القيام بين يدي العظيم أدنى إلى الخشوع ، وأدل على الضعف والحب والتقدير ، والحقير لا يجلس في حضرة الأمير ، لأن الجلوس لايؤدي كل معاني التقديس والإجلال الواجب له تعالى .

وقد اختارت الطريقة المحمدية أن يكون الذكر من جلوس غالبا، مراعاة للاعتبارات الشخصية والاجتماعية ومقتضى اليسر الديني، فإذا اشتد الشوق وغلب الوجد كان لا بأس بالقيام بشروطه الشرعية المقررة عند السادة، ولا خلاف بين الوجهين.

وعلى ذلك جاءت الآيات والأحاديث الصحيحة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[1] وقدم القيام لأنه أكمل وأليق.

ولايقال إن المراد بالذكر في الآية الصلاة أو غيرها، فإن الله ذكرهما معا في هذه الآية فرقا بينهما، وحدد وقت وحال كل منهما، قطعا لجدل المسلوبين، وعليه جاءت الآيات: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾[2]، ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[3].

فترداد لفظ الذكر بعد لفظ الصلاة في الآيات الثلاثة أوضح برهان على أنه غيرها، وأنه هو ما يعمله السادة المتصوفون.

وفي حديث عائشة أن النبي ﷺ كان يذكر الله على كل أحيانه، وفسر المحدثون الأحيان بالأحوال، أي قائما وقاعدًا ومضطجعا، فالآية مفسرة بهذا الحديث أحكم تفسير، ولا وجه بعدهما للقائل بالمنع، إلا شفاء مرضه النفسي القاتل.

وقد روى الفضيل بن عياض في «الشفاء» بسنده «عن علي» أن الصحابة كانوا يتمايلون عند الذكر كالشجرة في الريح العاصف، وهو بلا شك يقتضي القيام، وفيه إشراك للجسم مع اللسان، في النهوض بحق اللهِ، فاللسان يقول

---

(١) سورة النساء: آية (١٠٣).

(٢) سورة طه: أية (١٤).

(٣) سورة العنكبوت: آية (٤٥).

والجسم يشهد، كما هو الحال في رفع الأصبع عند قراءة التشهد في الصلاة.

قالوا: وذلك هو أصل تحريك الجسم عند الذكر، وفيه إشارة إلى شوق الذاكر وطربه عند ذكر الحبيب سبحانه. فإن الإنسان إذا اهتم بأمر قام له، وفي الذكر من قيام نفض للكبر، وخزئ للشيطان.

الذكر بالأسماء المفردة:

الذكر بالاسم المفرد في نحو: الله الله، أو: حي حي حي. أو غير ذلك مباح وجائز، بل مطلوب شرعًا ولغة، أما شرعًا فقد قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةً وَأَصِيلاً﴾[1]، وقال: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلاً﴾[2]. وذكر (الاسم) من معناه تكرار النطق به، على نحو ما يعمل الذاكرون من الصوفية.

قلنا، والله أعلم: إن في الآية الثانية تعقيبًا على الأمر بالذكر بكيفية أدائه، فالتبتل هو الخشوع والتذلل والانقطاع عن الشواغل، وبضم قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾[3] إلى هذه الآية، نستخرج كافة أدب الذكر بالأسماء المفردة وغيرها، إذ التسبيح هو الاحترام الحسي والمعنوي، والتقدير الكامل وقد تكلم في سر الذكر بالاسم المفرد أساطين أهل العلم من قبل، كصاحب «**سيف المجادلة**» الشنقيطي وابن عطاء الله في «**القصد المجرد**» و«**مفتاح الفلاح**» وغيره.

أما اللغة: فإنها تظاهرنا أيضا على جواز الذكر بالأسماء المفردة، لأنها في حقائقها جمل كاملة، فالاسم (**الله**) إما خبر لمبتدأ محذوف تقديره: ربي الله

---

(١) سورة الإنسان: آية (٢٥).

(٢) سورة المزمل: آية (٨).

(٣) سورة الأعلى: آية (١).

مثلا ، وإما مبتدأ والخبر محذوف ، والتقدير : الله ربي ، أو الله قادر مثلا ، أو مفعول لفعل محذوف تقديره : أستغفر الله أو أستعين الله مثلا ، وإما منادىٰ محذوفة ياء ندائه والتقدير : يا الله وكلها جائزة لغة ، مطلوبة بلاغة ، ويقال مثل هذا في كل الأسماء المذكور بها .

وقد قال تعالىٰ : ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[1] بلفظ الله هنا مرفوع علىٰ وجهي المبتدأ والخبر . وفي الآية إشارة لطيفة إلىٰ جمال الذكر بالاسم المفرد لا تخفىٰ علىٰ مبصر .

وقال تعالىٰ : ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[2] والدعاء معناه النداء ، والنداء ذكر ، فكأنه يقول : قل ادعو قائلين :يا الله ، أو : يا رحمن ، وحذف ياء النداء جائز لغة علىٰ وجوه شتىٰ ، فيقال : الله ورحمن ، في معنىٰ : يا الله ويا رحمن ، وهكذا .

بل إن النبي ﷺ سمع بأذنيه الذكر بالاسم المفرد وأقره ، فقد ورد صحيحًا أنه كان يمر علىٰ بلال بن رباح ، وهو يعذب من أجل الإسلام ، ويخفف عن نفسه بقوله : (أحد أحد) يتأثر النبي ﷺ له ، ولم ينهه ، وظاهر أن (أحدا) اسم من أسماء الله ، وسكوت النبي ﷺ علىٰ سماعه يجعل الذكر بالاسم المفرد سنة إقرارية من الحق أن تؤدىٰ ، وقال الله تعالىٰ : «ولله الأسماء الحسنىٰ – يعني (الله ، وحي ، وغيرها) فادعوه (أي اذكروه ونادوه) بها . وليس يعمل السادة المتصوفون إلا القيام بأمر مولاهم هذا واتباع سنة نبيهم ﷺ كما رأيت[3] .

---

(١) سورة الأنعام : آية (٩١) .

(٢) سورة الإسراء : آية (١١٠) .

(٣) في حديث مسلم وغيره «لا تقوم الساعة وعلىٰ وجه الأرض من يقول : الله الله !! ففيه جواز الذكر باسم المفرد معربا علىٰ الإغراء والتحذير أو علىٰ المبتدأ والخبر ، فهل يخجل الجاهلون الذين يمنعون الذكر بالاسم المفرد! .

الذكر بالاسماء المضمرة:

أصول الأسماء المضمرة المنفصلة ثلاثة : أنا (**للمتكلم**) وأنت (**للمخاطب**) وهو (**للغائب**) وقد جاءت كلمة التوحيد بها جميعا .

فمن الأول قوله تعالى : ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾[1] .

ومن الثاني قوله تعالى : ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾[2] .

ومن الثالث قوله تعالى : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[3] ،

وقوله تعالى : ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[4] ، وقوله تعالى : ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[5] وقوله : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[6] .

فأما لفظ (**أنا**) فلا يجوز أن يتكلم به غير الله تعالى ، أو من يحكى عنه .

وأما (**أنت**) فلا يصح الذكر بغير المأثور فيها ، إلا في مقام الشهود أو الفناء ، كما اتفق لسيدنا يونس عند غيبته عن جميع حظوظه في بطن الحوت ، وذلك أن المخاطبة (**بأنت**) تكون للمتساويين (**غالبا**) وهي قد تشعر بالتيه ومحافظة النفس على عيوبها في الإنسان المجرد .

أما لفظ (**هو**) فيصح الذكر به من الغائبين ، وكلنا غائب عن الحضرة ممنوع عن الصحوة والسكرة[7] .

---

(١) سورة طه : آية (١٤) .

(٢) سورة الأنبياء : آية (٨٧) .

(٣) سورة البقرة : آية (١٦٣) .

(٤) سورة المزمل : آية (٩) .

(٥) سورة القصص : آية (٨٨) .

(٦) سورة البقرة : آية (٢٥٥) .

(٧) يشترط أشياخنا للذكر بهذا الاسم استحضار المعنى الجامع والشعور بحقارة النفس عن شرف التصريح بالاسم الأقدس ، ومحاولة الإطلال على أودية الغيب من سماء الفناء في الهوية العظمى .